الفصل الحادى عشر

المدرس .. والصحة النفسية للمراهق

إذا كان للمدرسة الأثر الكبير فى دعم أو تعويض الصحة النفسية للمراهقين فما هو دور المدرس فيما يمكن أن يقوم به لتدعيم الصحة النفسية للمراهقين.

١ ـ المدرس أهم شخصية فى حياة المراهق:

ما من حاجة إلى التأكيد بأن المدرس أهم شخصية فى حياة التلميذ بعد أبويه. وترجع هذه الأهمية إلى ما يترك فى نفوس تلاميذه من أثر يبلغ الحد الذى يمكن معه أن يقال أنه لا يمكن أن يكون سلبيا فقط، وحتى لو ظل فى بعض المواقف ساكنا لا يقوم فى الظاهر بعمل شىء من الوجهة السيكولوجية، فى الواقع يكون قد عمل شيئا.

٢ ـ المدرس سلطة قوية الأثر فى نفوس التلاميذ:

المدرس إذن سلطة قوية الأثر فى نفوس التلاميذ ـ وقد يقف هذا الأثر عند هذه العلاقة المباشرة بينه وبين تلاميذه، أو قد يمتد لحين قصير أو طويل، ولمدى سطحى أو عميق، وبطريقة شعورية أو لا شعورية فى حياتهم.

وللمدرس عدة أدوار يمكن أن يقوم بها. بل الواقع أنه لا حصر للأدوار التى يمكنه القيام بها.

فهو أولا وقبل كل شىء يقوم بدور الأب، ثم يقوم بدور المشرف، ودور الرئيس، ودور الخبير، ودور العالم، ودور الصديق، والموجه، والمعالج..

وتختلف أهمية الدور الذى يقوم به المدرس فى نفوس تلاميـذه وفقا لشخصيته من ناحية، ولسن التلاميذ الذين يشرف عليهم من ناحية أخرى.

وأيًا كان الدور الذى يقـوم به المدرس، فإن مهمـته الأولى معاونة التـلاميذ على النضج الانفعالى إلى أكبر قدر مستطاع.

والنضج الانفعالى يعنى:

١ ـ كل ما يعيـن الفرد على الحياة بانسـجام مع نفسه ومع الغـير فى حدود القدرات والإمكانيات المناسبة لسنه.

٢ ـ وفى الإقبال على الحياة بحماس والنظر إلى مشكلاتها من خلال التفاؤل والأمل.

٣ ـ وفى اختيار الرضى من النهوض بـالالتزامات وإن أثارت فى نفسه بعض الضيق.

٤ ـ وفى نقل التركـيز من الذات إلى خارجـها، ونقل النشاط من الاعتـماد إلى الاستقلال .

٥ ـ وفى الانتقال من الحياة على مستـوى مبدأ اللذة الذى يدفع إلى التحقيق الكامل للرغبات إلى الحياة على مستوى مبدأ الواقع الذى يقضى التكيف فى تحقيق الرغبات وفقا لمقتضيات الحال.

٦ ـ وفى حدود تغيرات كثيرة وعميقة فى الحياة الداخلية للفرد ينعكس أثرها فى شعـوره بالرضى والسـعادة، وفى مقـابلته الـفشل دون انهـيار، مع السعى من جديد.

• تأثير قصور النضج الانفعالى

إذا كان النضج الانفعالى من العوامل الأساسية للنجاح فى الحياة بوجه عام، وكـانت وظيفـة المدرسة إعـداد تلاميـذهـا لهذا النجاح كـانت مهمـتها أى مهـمة المدرس فى تحقيق هذا النضج فى مقدمة المهام التى ينبغى أن تعنى عملية التربية بها اليوم.

بغير النضج الانفعالى لا يستطيع الإنسان:

أ ـ تناول مشكلات الحياة تناولا متزنا، بل إن الإنسان غير الناضج انفعاليا قد يخلق المشكلات، ما قد يكون قد سبق إلى حلها عن طريق التفكير المنطقى.

ب ـ يجعل الإنسان متخلفا أيضا فيما كان منطقيا تحقيقه ذهنيا، وينقضى ما لديه من محفزات للتعليم؛ ذلك أن الإنسان غير الناضج انفعاليا يخشى من الوجهة الانفعالية التغير. ويعنيه الاحتفاظ بالوضع الراهن؛ لأن التعليم ينطوى دائما على قدر من التغير.

٣ـ الصورة التى يجب أن يكون عليها المدرس:

١ ـ ولكى يستطيع المدرس تحقيق الصحة النفسية للمراهقين، **ينبغى أن يتحلى بالخصائص الآتية:**

• خصائص شخصية:

نشط، وراغب فى مهنته محب لها. شديد الاهتمام بتلاميذه ويشعر بالحب نحوهم. حسن المظهر والهندام، ناضج انفعاليا بعيدا عن القلق، متزن الشخصية. يتمتع بروح النكتة البريئة. على أن يكون مقتصرا فيها، بعيدا عن المهازل، صبورا، وبعيدا عن النوبات المزاجية.

• خصائص تتصل بالتكيف الاجتماعى:

أن يتقبل طلابه كما هم، وليس كما يتصورهم، أى عليه أن يوجههم وألا ينسى احتمال خروجهم على القواعد المدرسية أحيانا.

وأن يعمل على توطيد أواصر الثقة المتبادلة.

• خصائص تتعلق بأساليب التدريس:

١ ـ الإدراك بأن التعليم إنما هو نتيجة جهود الطالب الخلاقة التى تقتضى التفكير والكشف عن قدراته. وهذه تتطلب من المدرس التوجيه، والتشجيع، وشحذ تلك القدرات.

٢ ـ يزودهم بالحقائق كما هى، ويستأنس بآراء الطلاب بشأن أفضل الطرق التى يمكن أن تؤدى إلى تطوير تدريسهم، وهذا يشعرهم بالمسئولية عن طريق إشراكهم فيها.

٣ ـ يلجأ إلى وسائل الضبط إن وجد إلى ذلك حاجة.

٤ ـ تنوع العمل، لإبعاد شبح الملل.

٥ ـ جعل طلابه المراهقين على صلة مستمرة بواقعهم؛ ذلك لأن انتباه المراهق لا يستمر مركزا فترة طويلة.

٢ ـ وأن يكون:

١ ـ المدرس فى ميدان التعلم: فائد للتلاميذ بحكم خبرته ورجاحة تفكيره، بحكم جهوده معهم فى مجتمع واحد. فيصبح هو المتبوع ويصبحون هم التابعين.

وفى هذه الحالة ينبغى أن تكون علاقة المدرس بتلاميذه إما:

١ ـ علاقة من يأمر فيطاع.

٢ ـ وإما علاقة الأخ الاكبر بإخوته الصغار.

أما العلاقة الأولى: وهى علاقة من يأمر فيطاع فهى إن دامت فلفترة قصيرة.

أما العلاقة الثانية: وهى التى تكون فيها علاقة المدرس بتلاميذه كعلاقة الأخ الأكبر بإخوته الصغار فيهيئ لهم الجو، ويعيش معهم فيه، ويشترك معهم فى كل نواحى نشاطهم. وبذلك ينبغى أن يكون المعلم أقل صرامة منه فى الحالة الأولى، كما يكون أقدر على مشاركة التلاميذ فى حياتهم.

٢ ـ المدرس .. ومظهر الوقار:

أغلب المدرسين يرون أن مظهر الوقار ضرورى لهم وإلا فقدوا سلطانهم، وساء النظام الضرورى لسير العمل، إلا أن الوقار هو ما يغطى به الإنسان نفسه حتى لا يكتشفه غيره.

واذا كان المدرس وقورا جدا فإنه لا يمكنه عادة النزول إلى مستوى التلاميذ فى المراحل المختلفة، ولا أن يندمج معهم، لأن الوقار المصطنع والمراهقة لا يندمجان بسهولة.

والتخلص من غلاف الوقار يظهر المعلم طبيعيا مرحا مخلصا، ولكن التكلف ينفر التلاميذ منه، ويوحى إليهم بأنه يتصف بطابع التمويه والرياء، فإذا نجح المعلم فى التخلص من هذا الغلاف أوحى إلى تلاميذه بأنه يتخلق بالصراحة والإخلاص، ويجعلهم يشعرون بالاطمئنان إليه.

٣ـ المدرس واتزان الشخصية:

يعتبر المدرس أخا اكبر للتلاميذ مكشوفا على طبيعته يسترشد به التلاميذ ويطيعونه، ويحبونه، ويحيا معهم حياتهم ويبادلهم حبا بحب واحتراما باحترام، ويشعرون أنه يعمل لصالحهم فى حماس واهتمام، خاليا من عوامل القلق، وعدم الطمأنينة مؤمنا برسالته، معطيًا إياها من ذات نفسه.

ولكن ينبغى فى مقابل ذلك، أن توفر له إمكانيات العيش الكريم من ناحية، ووسائل القيام بمهام عمله من ناحية أخرى.

٤ـ المدرس.. ومراعاة العلاقات الإنسانية مع التلاميذ:

إن مقومات نجاح المعلم وسعادته فى عمله أساسها العلاقات الإنسانية السليمة مع كل هيئة مدرسته وخصوصا التلاميذ ولا سيما المراهقين.

فلا بد أن يمنحهم الاحترام، والثقة، وأن يقدر شعورهم فيشاركهم فى أفراحهم وأتراحهم، وأن يساعدهم على تخطى الصعب، وحل المشاكل التى تعترض سبيل حياتهم.

وأن يكون لهم أبا، وأخا، وصديقا. فلا يضن عليهم حتى بما فى جيبه أحيانا لو استطاع فى حدود إمكانياته.. ولا ينهرهم بألفاظ نابية، ولا يعذبهم بالعقاب ويكون أجدى كلما كان معنويا لا جسديا؛ لأن العقاب الجسدى نوع من أنواع البهيمية البغيضة، والكرامة الإنسانية المفروض توافرها فى الأبناء وفى الإنسانية عموما والتى تأبى هذا النوع من العقاب.

٥ـ المدرس والقدوة الحسنة فى تصرفاته

يتحتم على المدرس أن يكون قدوة حسنة فى كل تصرفاته وفى علاقاته بزملائه، وبأولياء الأمور، وبالتلاميذ عموما. فالتلميذ يقدس أستاذه المتكامل، ويعتبره مثلا أعلى يقلده فى كل شىء. واحترام التلميذ لمدرسه أو مدرسته هو أساس العملية التربوية وسر نجاحها. فالتقبل عن إقناع للمعلومات والتوجيهات يستحيل مع الكره والنفور والاحتقار.

٦ـ المدرس .. وتوفير القوة والحزم وعدم التردد فى شخصيته:

ينبغى أن تتوافر فى شخصية المدرس القوة، والحزم، وعدم التردد أو التراجع فى أوامره الواجبة عند اللزوم.

فضعف شخصية المدرس تشجع التلاميذ على الاستهتار بالمبادئ، والتلميذ يحتاج دائما وحتما إلى الضبط والربط. فترك الحبل على الغارب كثيرا ما يعرضه للانحراف؛ لجهله بالحياة وقلة تجاربه فيها، وعدم خبراته إزاء تطوراتها وحوادثها وتقلباتها.

٧ـ المدرس .. ونظافته وحسن ملبسه وأناقة مظهره:

ولنظافة المدرس وحسن ملبسه، وأناقة مظهره أثر كبير جدا فى نجاحه بشرط البساطة وعدم المبالغة.

واحتشام المدرسات المناسب للحياة الراهنة، واعتدالهن فى الملبس مع البساطة وحسن التأنق سبب من الأسباب التى تدعو إلى احترام التلميذات لهن.

٨ـ المدرس .. وحبه لإفادة تلاميذه:

المدرس النشيط فى عمله لا يدع فرصة لإفادة تلاميذه جسميا، وصحيا، وعقليا، ونفسيا، ووجدانيا، واجتماعيا، إلا وانتهزها، ويستطيع بكل بساطة أن يشد تلاميذه إليه دائما، وفى كل وقت بخيوط متينة من الحب، والوفاء، والولاء.

٩ـ المدرس .. وتمسكه بالعدل فى حكمه:

لا بد أن يكون المدرس عادلا، لا يميز تلميذا على آخر بدون وجه حق.

فالمدرس الظالم يثير الحقد عليه من نفوس من يظلمهم. أو يتجاهل جهادهم وإنتاجهم، وهذا الشعور يدفعهم بالتالى إلى كراهيته وكراهية مادته، فيتخلفون فيها، فتتعقد نفوسهم. وقد يؤدى هذا الأمر إلى كراهية المدرس والنفور من التعلم، بل من العلم بأجمعه، وقد يدفعهم ذلك إلى الهروب الذى كثيرا ما يصل بهم إلى أوخم العواقب مع إهمال العلاج.

١٠ـ المدرس .. والقدرة على الاندماج الاجتماعى:

أقصر طريق إلى نجاح المدرس هو المرح والقدرة على الاندماج الاجتماعى، فسرعة البديهة، واليقظة. والتأكد دائما من اكتمال الفصل بمجرد دخوله إليه ليحصر الغياب، وليبحث عن أسبابه لمعرفتها، والعمل على علاجها.

١١ـ المدرس وحب التلاميذ له:

إن المدرس الناجح فى عمله يكون رغم تعبه أسعد إنسان، لأنه يحصل على كنوز وفيرة من الحب الصافى النابع من قلوب طاهرة بريئة خالية من الحقد وعامرة بإخلاص، ومليئة بالوفاء، وحافلة بالاحترام والولاء.

١٢ـ المدرس .. والرعاية الصحية للتلاميذ:

حقيقة أن مهمة المدرس تلقين العلم لتلاميذه، ولكنها ليست مقصورة على ذلك فحسب، بل عليه أيضا أن يعلمهم المبادئ والأصول الصحية السليمة، لا عن طريق حشر أذهانهم بمعلومات صحية، بل بتدريبهم، وملاحظتهم بعد ذلك لكى يتبعوها فى حياتهم الخاصة. وحتى يصبح عندهم فى حكم العادة يفعلونها بدون تفكير ثم ينقلونها بدورهم إلى أهلهم وأصدقائهم فى بيوتهم، وفى البيئة التى يعيشون فيها.

وبذلك يكون المدرس قد وجه رسالته نحو رفع المستوى الصحى للمجتمع لنشر التعاليم والمبادئ الصحية بين أفراده.

١٣ـ المدرس... واكتشاف الحالات المرضية:

وبحكم أن المدرس على اتصال مباشر بتلاميذه يوميا أثناء العام الدراسى، فيمكنه أن يكتشف كل ما يطرأ على صحتهم من تغير بمجرد حدوثه، وأن يكتشف

الكثير من العلل والأمراض، والعيوب الجسمية والنفسية والعصبية فى وقت مبكر قبل أن يستفحل ضررها.

فإذا لاحظ المدرس أن المستوى العلمى للتلميذ قد تأخر بعد أن كان متقدما على أقرانه فى الفصل، أو أنه غير متيقظ للدرس دون سبب ظاهر، قد يكشف ذلك عن أسباب مرضية مثل:

أ ـ إصابته بالأمراض الطفيلية أو الأنيميا الغذائية، وفقر الدم نتيجة قلة الغذاء، أو غير ذلك من الأسباب المرضية.

ب ـ وقد يكون سبب التأخر والخمول راجعا إلى مشاكل عائلية. كاضطراب العلاقة بين والديه فى المنزل. أو القسوة الزائدة عليه من عنف وإهانة وضرب.

وبذلك يضطرب موقفه نحو مدرسيه ونحو أقرانه، فيصبح ضيق الخلق، أو مشاكسا، كثير الشجار، فيتعدى على أقرانه وإخوته، فينبذونه، فيزداد اضطراب نفسيته نتيجة ذلك.

والخلاصة: ينبغى على المدرس أن ينظر إلى التلميذ على أنه وحدة عضوية يعتمد كل جزء منها على الأجزاء الأخرى. فأى قصور للتكوين الجسمى، أو القدرة الذهنية أو الناحية النفسية، أو فى النواحى جميعا له أثر مصاحب معوق من حيث الفاعلية الشخصية للفرد فى المجال الاجتماعى والتعليمى حاليا ومستقبلا.

١٤ ـ المدرس .. والبطاقة الصحية فى علاج مشكلات التلاميذ:

البطاقة الصحية المدرسية هى الوسيلة الفعالة فى عملية التربية والتعليم حيث تساعد المدرس على معرفة التلميذ بكل ظروفه حتى تتوثق الصلات بينها وبين المنزل وأولياء الأمور لصالح التلميذ.

ففى البطاقة الصحية المدرسية:

تتضح ظروف التلميذ الاجتماعية، البيئية، وتظهر حالته الصحية، وإمكانيات أسرته الاقتصادية والنفسية، والسكنية، مما يكون له أكبر الأثر فى تكيف حالته التحصيلية المترتبة على حالته النفسية.

ومن البطاقة الخاصة بكل تلميذ:

نستطيع أن نعرف كل شيء عن التلميذ، عن مهاراته الخاصة، ومواهبه في النواحي النفسية، والثقافية أو الرياضية أو الاجتماعية فيساعدنا هذا على إلقاء الأضواء على نفسيته حينما يقع في مشكلة تستلزم الحل من المدرسة.

ولكي تعنى البطاقة بأغراضها كاملة:

لا بد من مساعدة المدرس بالوقت والإمكانيات حتى يستطيع أن يملأ البطاقة بمعلومات سليمة من واقع فهمه الحقيقي لظروف التلميذ، ويسهل عليه تدوين كل ما يتعلق بالتلاميذ من واقع ملاحظاته اليومية عن التلميذ التي تكون دائما طوال أيام الدراسة، وبصفة مستمرة.